

الرئيس روزفلت والديمقراطية الأمريكية

مثل من أمثلة الحكم الصالح

للاستاذ سلامة موسى

ترد لنا منذ أسابيع أبناء ذلك الكفاح السلمى الناشب في ولايات أمريكا المتحدة بشأن انتخاب رئيس جديد للجمهورية .

فقد رشع مستر روزفلت نفسه لرياسة الجمهورية مرة ثالثة ، وليس في تاريخ الولايات المتحدة رئيس انتخب ثلاث مرات ولكن ليس في دستورها ما يمنع ذلك . والحزبان الكبيران اللذان يتنازعان الرياسة والسياسة هما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى . والأول يمثل في أمريكا ما يمثله في أوروبا الحريون (Libéraux) أو دعاة الاصلاح الجرىء الذين لا يهابون التجديد في كل شىء . أما الثانى — وهو الحزب الجمهورى — فيمثل المحافظين الذين يؤيدون النظام الاقتصادى القائم وينفرون من الاصلاح الا أن يكون وثيدا متريشا وبقدر معين .

والرئيس روزفلت ديمقراطى مجدد جرىء حتى ليهمه خصومه الجمهوريون بأنه اشتراكى يتزعج الى الشيوعية زعرة ظاهرة . ولكن هذه التهمة لا تعدو أن تكون احدى المهارات التى يولدها كل صراع حزبي عنيف ، ولعل سببها راجع الى مجموعة القوانين التى استصدرها الرئيس روزفلت وسماها الجمهور "الصفقة الجديدة New Deal" .

ولكى نعرف المدى البعيد الذى تذهب اليه هذه القوانين ، يجب أن نعود بالذاكرة الى سنة ١٩٣٣ التى انتخب فيها روزفلت للرياسة أول مرة . فلقد كانت الولايات المتحدة تعاني أزمة اجتماعية عاتية ، اذ كان عدد المتعطلين فيها لا يقل عن سبعة عشر مليوناً . ومع أن سكان هذه الولايات يبلغون مائة وثلاثين مليوناً فان ذلك العدد من المتعطلين يعتبر ضخماً وهائلاً حتى في مثل هذه الأمة الكبيرة . ولم تكد نتيجة الانتخاب تعلن حتى استدعى الرئيس الجديد هيئة سماها "عصبة ذوى العقول Brain Trust" وهى مؤلفة من العلماء المشتغلين والاقتصاديين والفنيين المتخصصين لكي يستشيرها في أنجع الطرق لمكافحة التعطل وإعادة الانتعاش الى الحياة الاقتصادية في الولايات المتحدة . ولم تمض أيام حتى كانت القوانين تصدر عن البيت الأبيض تترى في مكافحة الفاقة والتعطل والمرض والإفلاس .

واليوم وقد مضى على انتخاب الرئيس روزفلت ثمان سنوات ، لا يسع المنصف الا أن يقول إنه نجح في تأدية هذه المهمة الشاقة واستطاع أن يستخدم من هؤلاء المتعطلين نحو اثني عشر مليوناً . وأعاد دواليب الصناعة الى الحركة بعد الوقوف ، وجعل المزارعين يتنسمون نسيم الرخاء بعد أن تجسم لهم الإفلاس في ديون يجب أن تؤدى ومخاض لا تباع ، وأصبح المتعطلون يناولون في الوقت الحاضر اعانات التعطل التي تسمح لهم بأن يعيشوا عيشة المتمدنين .

وهذه القوانين كثيرة ، وهي لكثرتها ولوفرة ما انفق عليها من المال الذي لا يقل الى الآن عن ستة مليارات جنيهه (جنيه لا دولار) هذه القوانين هي التي حملت خصوم الرئيس على اتهامه بالشيوعية . وما من شك في أن كثيرا منها قد اصطبغ بالصبغة الاشتراكية المتعدلة ، كما أنها قد زادت في ساطة الحكومة المركزية المثلة في الرئيس وحده أو في الرئيس مع البرلمان ضد حكومات الولايات . ولقد نسبت خلافات انتهت بأن حكمت " المحكمة العليا " بأن بعض التشريعات الاقتصادية التي اصدرتها الحكومة ليست قانونية . ولسنا بصدد الشرح لهذه القوانين فهي عديدة ومتنوعة . ولكنا نقول إن أول ما التفت اليه الرئيس روزفلت أنه خفض قيمة الدولار بمقدار ٤٠ في المائة أى أنه رفع بذلك اثمان المصنوعات والمزروعات فاستطاع أصحاب المصانع والمزارع أن يوفوا ديونهم . والتضخم الذي يكرمه أصحاب الأموال يجب الى المدنيين وهم يرجحون به . ولذلك سرى روح الانتعاش ببعض السريان بهذا التضخم الذي كان أول إجراء قام به الرئيس تزولا على الرأي الذي أشارت به عصابة ذوى العقول .

ثم عمد الى الزراعة فدعا المزارعين إلى أن يحثروا أرضهم المزروعة قطنا مع أن اللوز كان قد تفتح . وطلب منهم إلا يزرعوا إلا مقداراً معيناً من الأرض بالقطن ، وأدى التعويضات عن هذا وذلك ، فكان المزارع يبيع محاصيله بعد ذلك بدولار متضخم ويأخذ إعانة عن الأرض التي لا يزرعها فانتعش ووفى ديونه .

ثم أنشأ ما سماه " إدارة الأعمال العامة " فبنى الجسور فوق الأنهار وشق الطرق التي تبلغ عشرات الألوف من الكيلومترات يفرشها بالأسفلت ويقيم عليها الأشجار والمصابيح كما أقام الخزانات للأنهار ودعم شطوطها بالبناء وشيد المباني العامة واستخدم في كل ذلك ملايين وملايين من المال يتفق عليهم من خزانة الدولة .

ثم عمد إلى بناء المنازل فجعل الحكومة تؤدى الاعانات لشركات البناء وتقرضها القروض بأقل الفوائد ، فنشطت حركة بناء المنازل في نحو ٢٠ الف مدينة . وبناء المنزل يحتاج إلى صناعات مختلفة متعددة وتنشيط البناء يدفع هذه الصناعات جميعها إلى العمل فيعم الرخاء ، كما أن تيسير الملكية على الطبقات الفقيرة يوجه هذه الطبقات وجهات اجتماعية صالحة وبعدها عن التصادم الاخلاقي وعن ارتكاب الجرائم .

ومن أحسن مبادرات حكومة روزفلت ما يسمى "إدارة الرقي في العمل" فإن هذه الإدارة تستخدم الشبان المتعطلين فيقومون بأعمال مختلفة كغرس الغابات أو أي عمل تعميري آخر، وهم يعيشون في خيام مضروبة بعيدة عن المدن، ويتعلمون في مكاتب خاصة تهيئهم للأعمال الصناعية أو الزراعية أو المكتبية، والحكومة تتكفل بما واهم وطعامهم وتنقدم أجرا يبلغ نحو ستة جنيهات في الشهر.

ولكن الشاب الذي يقوم بهذه الأعمال لا يتقاضى إلا ربع مرتبه وترسل الحكومة الباقي لمن يعولهم من أهله وأقاربه.

وبهذه المشروعات تغيرت حال الولايات المتحدة وانزاحت عنها غيمة الكساد والبؤس التي خيمت منذ عام ١٩٣٣، وشعرت الطبقات الفقيرة بهذه الاصلاحات فتعالت بالرئيس. وهو اذا كان سينجح في الانتخابات القادمة فإن معظم نجاحه سيعزى الى هذه الطبقات التي انتشأها من البؤس والتعطل الى حال من الرخاء والهناء تغبط عليها. وبدى أن مثل هذه الاصلاحات إنما تمت بفرض ضرائب جديدة وبتضخيم الدولار بالاستدانة. ولذلك فإن خصوم المستر روزفلت وان لم يكونوا كثرة في العدد فهم قوة كبيرة في عالم المال لأنهم جميعهم من الأغنياء الذين وضع على كاهلهم انعاش الفقراء. وقد نشأنا على أن نسمى تلك الدولة باسم "الولايات المتحدة" ولكن حقيقة الاسم هو "الدول المتحدة". ومن الحسن أن نصلح الخطأ حتى يتضح مغزى الاسم وهو أن هناك ٤٨ دولة مستقلة قد اتحدت فيما بينها وتنازلت عن بعض حقوقها الاستقلالية وألفت بذلك حكومة مركزية هي حكومة واشنطن. ولكن هذه الحكومة المركزية لا تستطيع أن تتدخل في شؤون إحدى تلك الدول التي تمتاز ببيتها التشريعية والتنفيذية والقضائية بحيث قد تختلف القوانين في دولة منها عما هي عليه في دولة أخرى الا فيما يتعلق بحقوق الاتحاد العام كالضرائب والدفاع الوطني والسياسة الخارجية واتفاقيات البريد وغير ذلك. ورئيس الولايات المتحدة هو أيضا رئيس الوزراء فإنه يختار وزراءه ولا يمكن للبرلمان المؤلف من مجلسين أن يسقط الوزارة. ولكن وزير الخارجية بل السياسة الخارجية كلها مقيدة بمجلس الشيوخ الذي يشرف على جميع ما تقوم به الحكومة في الخارج، وقد أدى حرص هذه الولايات أو الدول الثماني والأربعين على صيانة حقوق الشعب من طغيان الرئيس البرلماني الى أن صار للحكمة العليا في واشنطن حق الحكم ضد الرئيس وضد البرلمان اذا ما انحرفا عن الأصول الدستورية. فالحكومة المركزية في واشنطن مؤلفة اذن من هيئات ثلاث هي :

(١) البرلمان أي مجلس النواب ومجلس الشيوخ ويطلق عليهما مجتمعا اسم كونجرس (Congress) أي المؤتمر.

(٢) والرئيس الذى ينتخبه الشعب لمدة أربع سنوات .

(٣) والمحكمة العليا التى لا يمكن عزل قضاتها .

وتمتاز الديمقراطية الأمريكية بشباب وفتوة مع التفاؤل والاستبشار بالمستقبل . وهذا هو ما يجرى الحكومة المركزية والحكومات المحلية على التجربة . فان " قوانين ومشروعات الصفقة الجديدة " هى تجربة عظيمة لا يقوم بها غير دولة تحسن الظن بالمستقبل .

وهناك مشروعات مالية واقتصادية نظنها لفرط جرأتها امراقا فى الخيال تقوم بها هذه الولايات ولا تبالى الأخطار التى قد تورط فيها وما الحافز اليها الا شدة ما تحسه من شباب وتفاؤل . والولايات المتحدة هى القطر الوحيد الذى ينبج مثل فورد الذى بلغ الثمانين وهو لا يزال يلعب بخترعته كما يلعب الصبيان بلعبهم . ويخرج ثلاثين مليون أتومبيل بروح الصبي المرح لا بروح المسالى المعجوز الذى يطلب الترف والثروة والراحة .

وفى هذه البلاد يؤلف الأستاذ بيتكين كتابا عنوانه " الحياة تبدأ فى الأربعين " حيث يشرح لقرائه كيف يدبرون حياتهم فى سن السبعين والثمانين .

وهذا التفاؤل بالمستقبل هو الذى يجعل الأمريكين يؤمنون بالعلم ايماناً يكاد يكون أعمى . فان عندهم مجالات تخصص لتأليف القصص العلمية . وهى تضرب فى بيدا الخيال متحذثة عن الانسان الذى سيعيش ألف سنة أو المنزل الذى تؤدى فيه أعمالنا جميعا ببجملته أضرار كهربائية الى جنب السرير ، أو عن الفواكه التى نتغذى بها ونتداوى . أو عن الطائرة التى نعيش فيها أشهراً فى السكالك أى فى الهواء الذى يلاقى عنان السماء .

ومثل هذا التفاؤل والاعتماد على العلم مع الثقة به هو الذى يجعل الأمريكين يقبلون على الزراعة المائية أى الهيدرو بونية بلا أرض .

وهى زراعة تنشر فى أحواض الماء فى البيوت تزود بغذاء كيمائى . وقد نجحت حتى دخلت فى الطور التجارى . والبيت الأمريكى هو أعظم البيوت فى العالم استخداماً للقوة الكهربائية .

وتجارب الأمريكين فى التعليم وإنشاء المدارس الجديدة بل الطريفة برحان على روح التفاؤل الذى يعم جميع السكان .

وروزفلت فى تجاربه الاقتصادية العظيمة لا يختلف عن فورد فى تفاؤله بالمستقبل . فإنه يشعر أنه يرأس أمة عظيمة لها موارد لا تنفنى من الزراعة والصناعة . بل من الاخلاق والثقافة . فهو يقدم على اتفاق الوف الملايين من الدولارات وهو واثق بالقدرة المالية التى تتمتع بها بلاده وبالمستقبل الذى يزدهر أمامها .

وحياة هذا الرجل مثل ناصع للبرأة العاقلة والاقدام الرزين ، فقبل نحو ثمانى عشرة سنة أصيب بمرض جعله مشلولاً مطروحا على السرير لا يقوى على الحركة . وهذا المرض الذى يسمى ” شلل الأطفال “ لأنه يتصل بالإنسان الى حال من العجز تشبه حال الطفل — كان يمكن أن يقضى على ارادة روزفلت لولا ما طبع عليه من تفاؤل وإقدام . فإنه لم يستسلم لدعة السرير ولم يذعن لتصيحة أمه التى أملاها الحنان ، فيركن الى السرير ويخضع لحكم الاقدار بل استمع الى نصيحة زوجته التى أبت أن تراه قعيدا ، فما زالت به تحضه على النهوض ، بترويض ساقيه على الحركة حتى استطاع بعد جهاد طال سنين أن يسير بضعة أمتار على عكازين . ثم ما زالت حالته تتحسن حتى استعاد أو كاد يستعيد صحته وعافيته .

وهذه الزوجة من أنشط النساء الأمريكيات : تكتب فى الصحف ، وتحدث من محطات الإذاعة ، وتشارك مع زوجها فى درس المشكلات الوطنية والعالمية .

وبعد أيام ستجرى الانتخابات للرياسة الأمريكية . وما لا شك فيه أن الرئيس روزفلت مرشح له خطره على منافسيه . فإن كتب له الفوز فسيحظى الأمريكيون بأربع سنوات من حكومة البر بالفقير والعدالة التريية . وإذا كان خصومه سيكثر من الكلام عن شيوعيته بل فوضويته ، فإن هناك سبعة عشر مليوناً يعرفون أنهم كانوا فى عام ١٩٣٣ متعطين جائعين وأنهم الآن قد شعبوا وأمنوا .

سلامه موسى

— النعمة كالنقمة تحتاج إلى الثبات والجلد .

سعد زغلول

— لا تقسروا أولادكم على التطيع بطباعكم ، فقد خلقوا لزمان غير زمانكم .

على بن أبى طالب

— لو أنت ما بنى وبين الناس شعرة ما انقطعت . فهم إذا شدوا أرخيت وإذا أرخوا شددت .

معاوية

— قيل لحكيم : أيهما أحب إليك ، أخوك أم صديقك ؟ فقال : ” والله ما أحب أبى إلا إذا كان لى صديقا “ .